

الرحلة باعتبارها نصا سرديا

Travel Writing as a Form of Narrative.

ط-د ثاني جمعة الحمداني¹،¹ جامعة منوبة-تونس، Thani61@gmail.com

تاريخ النشر: 2025/06/15

تاريخ المراجعة: 2025/03/19

تاريخ الإيداع: 2025/02/15

ملخص:

لقد بحثنا في معنى أدب الرحلة وتطوره عبر فترات زمنية مختلفة وذكرنا أهم الرحالة المشهورين في المجال الأدبي والتاريخي متخذين من رحلة محمد الحارثي وكتابه عين وجناح أنموذجا لموضوعنا حيث تطرقنا من خلال الوصف الموجز عن الكاتب وأهمية كتابه في الأدب العماني عامة وأدب الرحلة خاصة وحددنا بعض الجوانب المهمة في رحلة محمد الحارثي والصعاب التي واجهها في رحلته وما امتاز به أسلوب الكاتب من الحرفية والإبداع في اختيار المفردات والصور المعبرة المختلطة بالذات المبدعة التي تميز بها محمد الحارثي خاصة في أدب الرحلة. وهذا المنجز البحثي القصير ربما لم يعط الصورة الكافية عن الكتاب وأهميته وحضوره في خريطة الأدب العماني والأدب العربي: وهو ينقل لنا صورة الآخر بكل تفاصيلها ومكوناتها وسياقاتها الاجتماعية والمعيشية والحضارية. وقد رمينا في هذا البحث أن نلقي النظرة حول أدب الرحلة في عمان وضرورة البحث والتوسع فيه دراسات أكاديمية متخصصة تعنى بهذا النوع من الكتابة: فالمجال فيه لا يزال في حاجة إلى مزيد من الدراسات والبحث. ولعل الحديث يذكرني بكلمة قد سمعتها من الأديب العماني سعود المظفر يوما أن العمانيين الذين أتوا من شرق أفريقيا كانت لهم حكايات وقصص كثيرة تتسع لكثير من المجلدات والكتب وهذا ملمح هام في البحث والتنقيب عن العديد من الكتب والقصص المحفورة في عقول الكثير من الناس.

إن الحديث طويل ولكن أرجو أن تتاح لنا الفرصة مرة أخرى لنقدم بعض الجوانب الفنية والأسلوبية لأدب الرحلة.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، أدب الرحلة، الذاتية.

Abstract:

We have researched the meaning of travel literature and its development across different time periods. We mentioned the most famous travelers in the literary and historical field, taking the journey of Muhammad Al-Harithi and his book *An Eye and a Wing* as a model for our topic. Through a brief description of the writer, we discussed the importance of his book in Omani literature in general and travel literature in particular, and we identified some important aspects. On the journey of Muhammad Al-Harithi and the difficulties he faced on his journey, and the craftsmanship and creativity that distinguished the writer's style in choosing expressive vocabulary and images mixed with the creative self that characterized Muhammad Al-Harithi, especially in the travel literature. This short research achievement may not have given an adequate picture of the book and its most. Its importance and presence in the map of Omani and Arab literature: it conveys to us the image of the other in all its details, components, and social, living, and cultural contexts. In this research, we aimed to take a look at travel literature in Oman and the necessity of researching and expanding specialized academic studies concerned with this type of writing, as the field in it still needs more studies and research. Perhaps the hadith reminds me of a word I heard from the Omani writer Saud Al-Muzaffar one day, that the Omanis who came from East Africa had

many tales and stories that would fit into many volumes and books, and this is an important feature in researching and excavating the many books and stories engraved in the minds of many people.

The discussion is long, but I hope we will have the opportunity once again to present some of the artistic and stylistic aspects of travel literature.

Key words: Journey, Journey Literature, Subjectivity.

* - ط د ثاني جمعة الحمداني

مقدمة:

إن الكتابة كمفهوم يندرج فيه جملة من المفاهيم والمتباينات والمسارات الحكائية والدلالات القولية والسياقية: كما يؤكد ذلك العديد من المنظرين والباحثين في مجال القول ودلالات الكلام. خاصة البنيويون الذين ربطوا بين فعل الكتابة، وتمكين القول ومدى التفكير والتكوين المجتمعي بين حركة الإنسان وتدوينه وما يمر به وما يصادفه سواء في حياته اليومية أو من خلال مشاهدته وانتقاله بين الأمكنة وترحاله بين لحظة وأخرى مخلفا بعدا ومسارا تكوينيا ومجالا له مداه وسياقاته. وذلك أن الكتابة فعل إنساني، وظرف اجتماعي له حدوده ومسارات الحياتية والتكميلية تأوي تحته مظلمته مرجعيات عدة من الكتابات والفنون والإبداعات الإنسانية المختلفة.

كما صرح بذلك أحد كبار المنظرين اللسانيين (رولان بارت) فقد عدّ النص دعوة للكتابة؛ وبالتالي؛ فهو محور وصورة للترحال وللخروج عن الواقع والمعيش والمدرّك بحواس ومتواليات وتشكلات بصرية وسمعية وغيرها إلى معانٍ ودلالات يفرضها الواقع وتنسجها الظروف والتأويلات والنظريات. هذا المفهوم اقتضى توضيحا لعدة جوانب هي: المؤلف، والتأويل وفاعلية القراءة. وعلاقة النص بالعالم من حوله، ومنها تشكلت أوجه المقاربة وتباينت رؤى التأويل وصوره ورسم عوامله ورصد ألفاظه ومقصده ومحركات الواقع والمحيط الذي يفرضه ذلك الواقع أمام المؤلف: مصدر النص. وهو حراك ترحالي يولد إمكانات واستباقات. ففي تلك المؤسسة الاجتماعية إقرار بعلاقة بين المؤلف ونصه من ناحية وعلاقة الكتابة بهما من ناحية أخرى. "ولأن الكتابة مجموعة من الأعراف والتقاليد والشفرات المؤسسية؛ فإنها ستكون هي الإطار الذي سيحد ويؤطر أسطر المؤلف عن طريق خضوع نصه لهذه القوانين، وبذلك يحد هذا الأمر "أدبية" النص ويعطيها مشروعيتها بقدر التزامها بقوانين المؤسسة¹.

والرحلة كمفهوم وفعل إنساني له مساراته ومكوناته، وكنص سردي يتميز بلغته الأدبية: لغة الشعر والسرد وكونه خطابا يستدعي راويا ومرويا له؛ فهو محور تحمل دلالاته السردية الأدبية، تلتقي وتشابك فيه السبل والاتجاهات والمدونات على اعتبار النص وخصوصيته: "ليست في كون النص متفردا منغلقا على نفسه وإنما كونها لا تتوقف بل تظهر في نصوص ولغات وأنظمة لا نهاية لها"².

وبين الرحلة والكتابة أبعاد واختلافات: فالكتابة هي نوع من الرحلة عبر اللغة وممكنات القول وفعل الحوار، وموصوفات الكلام، والرحلة نوع من التدوين والرسم بالكلمات والعبارات؛ وبهذا فالكتابة ترحال بين الواقع والتمثيل وبين التأمل والتجسيد والإبحار في مسوغات الدهشة ومقامات التجلي والتصوف، والرحلة حفر

لخطوط الواقع وخطوط المكان، وبين حقيقة الواقع وحقيقة التأويل يكون فعل الكتابة الذي هو فعل الإنسان نفسه، ورحلته عبر المكامن والمخابئ والتأويلات.

وأدب الرحلة في تعريفه المعجمي هو (مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يعرض فيها أوصاف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق) (معجم المعاني الجامع في مادة (رحل)). وهذا الفعل يتحقق بفعل الكتابة الذي هو رحلة في اللغة ومسارات الكلام.

فأدب الرحلة وصف لحالة الكاتب وهو يجوب الأمكنة والقفار والبقاع والمساحات والبلدان ويسجل كل ما يلتقي به ويراه وما يمكن أن يحدث له أثناء حراكه وانتقاله، وهو بذلك يمكن مختلف المجالات البحثية والدراسات باعتماده سواء في المعلومات الجغرافية والاجتماعي والتاريخية، أو اتخاذه مجالا للمعرفة ووسيلة من وسائل الاكتشاف والترفيه والمضي في المسار حسب مقتضى الوصف والرصد المقدم للكاتب وطره المبصر والناقل وبلغة التعايش الموحية والمعبرة والمسكونة بهواجس الذات المتبحرة في دنيا الكتابة والتأليف، وسياقات التخاطب والتوجهات القائمة بلسان الراوي العارف بكل شيء والمحيط علما لكل شيء.

عدد كبير من الروايات والقصص يمكن أن يندرج بصورة ما تحت مسمى أدب الرحلات؛ "فهذا المسمى الواسع قادر كما نرى على استيعاب أعمال ابن بطوطة وماركو بولو وتشارلز داروين وأندريه جيد وأرنست هيمنجواي ونجيب محفوظ، رغم التباين الكبير فيما بينهم؛ لكن الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها الرحلة الزمانية أو المكانية أو النفسية"³.

إن خروج الإنسان من رحم أمه يعد رحلة إلى عالم مجهول. هذا العالم المجهول الذي سيسبح فيه وسيغدو طرفا فيه مؤثرا ومتأثرا.

فالتواصل القائم بين الرحلة يجسده تواصل في الفن والأدب في اختلاف أشكاله وتصورات على وجهه مفادها التقاء في المسار والتشكل بين الرحلة والفن في حضورهما ومسارهما الخارج عن المكان وعن الواقع بأدوات كلها من أسس التكوين والتفرد والمواجهة فيما قد يفرق أو يفترق؛ فالأمر كما حدده أرسطو قديما في كتابه فن الشعر لا يعدو إلا أن يكون محاكاة للواقع أو صورة تشكليه منه.

والرحالة الذين عرفنا حكاياتهم ورحلاتهم: وهذا السير عبر تواصل الزمان والمكان والفن صورة ثلاثية عبرت عنها الإبداعات العالمية كما نجد ذلك عند الكاتب اليوناني كازنتراكيس. في أعماله: زوريا وتقرير إلى غريكو وهو يصف الحياة والناس: فهو الذي يذكر في كتابه تقرير إلى غريكو وصفا للصحراء العربية، وعن حياة الإنسان العربي والشرقي عموما والذي يلتقي معه هما وفكرا وإنسانية، وترحالا.

فالخطوط الأولى التي خطها الكاتب العربي المصري علي بن المبارك هي اللبنة الحاضرة والمنطلق الأساسي في اتصال أدب الرحلة وجعله مسارا حكايا متخيلا يحمل بعدية سردية وجمالية تكون اللغة الشعرية الواصفة جملمته وعبارته وصورته المكملة والناقلة للمدركات الذاتية وحدود الواقع ورأسمة مجال الإبداع والتخييل والمسار الحكائي.

ونسوق رحلة رفاعة الطهطاوي المحرر الأول في سيرة الأدب العربي الذي رافق البعثة العربية إلى فرنسا فكانت صورته ظاهرة وحضوره الفني بارزا في تصوير معالم الحضارة الغربية في صورتها الباريسية والاتساع

المعرفي والبون الشاسع الذي خلفته مكونات التقدم والتخلف بين حضارتين لا يعرف أيهما أجدر بالتقدم من الأخرى؟. وهذا ما وجدناه في جوهرة أدب الرحلة "تخليص الإبريز في تلخيص باريز". كما وجدنا رحلة السندباد ورحلة بن بطوطة والرحلات التي قام بها أبطال الحكايات والسير والتراجم والمدونات وأهل العجائب والمغامرات. هذا المكون السياقي الإنساني نجده حاضراً مع كتاب الرواية في الخليج العربي ولعل المقام لا يترك لنا الكثير من ذكر الأمثلة وهي كثيرة؛ لكنني سأذكر رحلة الكاتب العربي السعودي محمد حسن علوان صاحب رواية القندس ورواية موت صغير وغيرها من الروايات الذي سخر أدبه وكتابات التي يشبه فيها ذاته بالرحال أو المؤرخ أو الكاتب المصور بالكلمات والراصد لمختلف الرحلات الواقعية والمتخيلة: سواء ما كان في الرواية أو في كتابه النثري (الرحيل).

يتحدث كتاب الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه عن أدب الرحلة ومكونات الذات وهو جسدتها التي اختص بها الإنسان أكثر من أي كائن حي آخر، ويعطي توضيحاً هاماً عن الرحلة والترحال ويصفه بأوصافه المختلفة، ثم استيضاح أسبابه.. إن "غريزة الرحيل تكاد تكون الغريزة الأساسية الوحيدة التي تميز الإنسان عن الحيوان بشكل أساسي" كتاب الرحيل: نظرياته والعوامل المؤثرة فيه⁴.

أولاً. الرحلة في الأدب العماني:

نتصور أن أدب الرحلة قديماً في مسيرة الحضارة العمانية وقد وطيء العديد من الكتب والمصنفات التي صورت رحلات السلاطين أو العلماء وسيرهم: كتحفة الأعيان في سيرة أهل عمان للشيخ نور الدين السالمي وسيرة الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدي وسيرة الإمام ناصر بن مرشد وغيرها من كتب الرحلة والسير التي تنقل لنا جوانب مختلفة من الحياة القديمة والأحداث التاريخية المختلفة من خلال وصف لرحلة الأمام أو بيان لسيرة أئمة من أئمة الدين أو العلم وهي ينتقل بين مختلف البلدان والحواضر، وإن اختلطت الرحلة بالسير في العديد من الجوانب والمجالات؛ لكن انتقال الإنسان من مكان إلى آخر هو سيرة ورحلة في آن واحد.

تتمثل الرحلة في الأدب العماني في وقتنا الحاضر جلية مع الكاتب والشاعر الراحل محمد الحارثي.

إن محمد الحارثي كان شغوفاً بالسفر والترحال، وقد مثل السفر حيزاً هاماً في تكوينه الفني والإبداعي؛ فكان صورة بين افتنانه بالكتابة والترحال والرحيل بعيداً، فقد عبر المسافات وجاب المجهول من الأمكنة والبقاع المختلفة والإبحار خلف مساحات الزمن اللامتناهي.

وهذا ما سأذكر وأحدده من خلال كتابه (عين وجناح):

ثانياً: صورة الآخر في كتاب عين وجناح:

لعل علاقاتنا بالآخر تبدو إشكالية في كثير من الحدود والأوضاع؛ فهي تجسد مستوى من التفاعل والخروج. التفاعل في حدود المعرفة والمنفعة المتبادلة، والخروج على مكونات الحياة والتدين والحيز الثقافي وحركة الحياة في حدودها المختلفة والتي تمضي في منعرجات وتموضعا تبدو حركة الراصد (عين) مهيمنة للفعل وللتبادل وللظهور (جناح) كناية عن وسيلة الرحلة أو الراحل نفسه، وهي كما يبدو مختلفة أو تكاد تتباين وصورة الآخر المناقض والمختلف في كل شيء، والباحث عن كل شيء. ورغم أنه هو المصيطر والمحتل؛ لكن هذا الآخر المتولد عبر رحلات وأسفار جادت بها رياح التوسع والسيطرة والاستفادة من خيرات الأرض، والمضي في دروب

التماهي والتبحر في سير الطريق وإيصال مقتبسات الحضور في الزمان والمكان وإن تلاشى كل شيء أو تعدى في ماضيه وسعيه وانتقاله، يبدو في صورة مختلفة وتباين يفرضه الخطاب وتكشفه الوسيلة.

سؤال طُرح على الناقد العربي العراقي عبد الله إبراهيم حول نظريته للآخر فقال: "لا تكتمل الأنا إلا بالآخر. فالآخر هو المرأة التي نعثر فيها على هويتنا فلا نعرف أي شيء إذا انكفأنا على أنفسنا. فالآخر هو الشاشة التي نرى من خلالها هويتنا الثقافية وبالتالي لا يصح القول بالاعتصام بالذات والانكفاء بعيداً عن الآخر. وأظن أن الأوهام الكبرى التي تختلقها الأيديولوجيات حول الأعراق والأديان والثقافات هي أوهام وأساطير لا قيمة معرفية لها على الإطلاق⁵.

يتمحور اتجاهنا حين التوجه للآخر: إنه ذلك النموذج المحتل المستعمر البعيد عن المبادئ الدينية والثقافية الخاصة بنا. يقدم لنا الدكتور نجم في كتابه نحن والآخر مستويات ثلاثة لعلاقتنا به:

المستوى الأول: فشل العلاقة بالآخر ويعني رفض إقامة علاقة بالآخر الغربي، وربما مقاومتها أو عدم إقامتها. المستوى الثاني: تواضع العلاقة مع الآخر. ونعني الريبة والتحفظ من إقامة علاقة معه؛ ولكن دون رفضها أو مقاومتها بل ينطوي على قبولها بحدود متواضعة أو بشروط يفرضها المنطق أو تتوفر في سلوك الآخر، أو في أسباب تتعلق بنا.

المستوى الثالث: التحمس للعلاقة بالآخر بوصفه متفوقاً بما يعني إقامة علاقة معه والنظرة الإيجابية إليه في ظل النظرة الإنسانية للشخصية العربية المتخيلة إليه⁶.

وفي ضوء تلك الأنواع والاختلافات التي أوردناها في السابق نطرح سؤالنا حول كيفية ورود الآخر في كتاب عين وجناح؟

لعل الحديث يقودنا في هذه العجالة لماذا انصب اختيارنا على كتاب عين وجناح؟ والجواب سيكون ضمن ما سنقدمه في هذا المجال في هذه الورقة عن سردية الرحلة. وكتاب (عين وجناح) نموذجاً.

يمكننا أن نلاحظ ثلاثة أنواع من الرحلات في كتاب (عين وجناح) هي الرحلة الذاتية الخاصة بالكاتب والرحلة العربية أو القومية الخاصة بالعربي والرحلة الإنسانية التاريخية الخاصة بالبعد الجغرافي والتاريخي الرحلة الأولى: الرحلة الذاتية:

وقد أوردنا الكاتب في مقدمة كتابه مع وجودها في الكثير من المواضع في الكتاب. والذاتية هو مصطلح يشير إلى قدرة المتكلم في تقديم نفسه ذاتياً من خلال اللغة، وكما قسمها فرويد إلى ثلاثة أقسام: الأنا والأنا الأعلى واللاشعور.

يقول في مقدمة الكتاب: الرحلات التي سيخوض غمارها قارئ هذا الكتاب ما هي إلا محصلة لتجربة ومغامرة حياة أعطيتها كما أعطيتي أفضل ما لديها في عقدي الثلاثين إثر إجازتي في الجيولوجيا وعلوم البحار. ذينك التخصصين العلميين الذين وهبتهما جلّ طاقتي سدى رغم الحاح شجرة الرغبة الكامنة في دراسة الآداب واللغات⁷.

الرحلة الثانية: الرحلة القومية العربية:

تبدأ الرحلة الثانية في الصفحة الثلاثين:

"كانت مفاجأة سارة لنسيان غبار الرحلة ومناسبة لا غبار عليها للتعرف على شريحة من مجتمع سان دييغو وبالفعل لم تكن هناك سان ديغو وحدها، وإنما ألمانيا وكولومبيا والعراق وعمان بيرو الولايات المتحدة والهند وخليط من الرجال والنساء يحتسون الثثرة والبيرة والكاكولا والنبيد الكاليفوني متلذذين بأسياخ الكباب المشوي الذي لم تخف لمسة وداد البغدادية في تهيئه إنضاجه على الأصول والفروع...ولما كان الكل يكيل المديح للمستها السحرية غافلين ابتسامة زوجها الأميري فقد أثر أحدهم امتصاص العنف الملون لجوازات سفر المدعويين بسؤال استل شعرة العنترية الوطنية من عجنتها:

ما رأيكم لو تحدث كل واحد منكم عن الوجبة المفضلة في بلاده وطريقة تحضيرها؟.

التمّ الجمع حول نار سؤاله التي أطفأت ماء قصص رومانسية تعتق بين اثنين هنا واثنين هناك. هكذا وجدنا حولنا وصفات جاهزة لأطعمة أخرى التندوري الهندي الفيش تشيبس الإنجليزي الباجة العراقية الناتشو المكسيكي البابلا الإسبانية همبورجر ماكدونالدز والشواء العماني/

وهنا يستلزم المقام الشرح التفصيل: الشواء العماني الذي يستلزم تحضيره ثمان وأربعين ساعة بدءا من تتبيل رؤوس الذبيحة ورقاها مروراً بغمورها في الخل المتبل بتوابل خاصة ممزوجة في عصارة تمر. هذه الحكاية التي رؤيتها استطاعت أن تحقق هدف الكولومي الذي حكّ السؤال شاحدا سكينه بفطنة حرة عندما تسأل بملاحظة مسدت ريش السهرة. "لمّ لم تتخيلوا وقد سمعتم هذه الحكاية القصية. إنه ما زال في هذا العالم أناس لهم القدرة والإناء على انتظار وجبة طعامهم يومين كاملين في زمن نلهم في دهمائه إلى مطاعم الفاست فوود لتناول وجبة تحضر على جيف دقائق انتظارنا. انتظارنا للهوف إلى زمن قياسي أقصر⁸.

إن محمد الحارثي وهو يقول: "حياتي قصيدة وددت لو أكتتها" - يضعنا في حدوده الذاتية التي تصور روح الشاعر وتقف بنا مع روح المبدع ويقول "لم أنتهج الطريق السهل الذي اتبعه شعراء وكتاب لهم محاولات في أدب الرحلة، لكنهم يكتبون غالبا عن رحلات إلى بلدان دعوا فيها إلى مهرجانات شعرية أو ثقافية أقاموا فيها بالكاد عشرة أيام، ليضموا مقالاتهم الصحفية عن هذه وتلك من البلاد في كتاب يصنفه ناشرهم أدب رحلات. بالنسبة إلى المسألة مختلفة في حدية وجذرية النظر إليها؛ باعتبار الرحلة مسعى يمكن مقارنته بالكلمات لابتداع وإضافة مرتقى مضاف لعتبات ابن بطوطة وابن جبير الأندلسي وابن فضلان البغدادي والحسن الوزان (أو ليون الأفريقي)⁹.

الرحلة الثالثة: الإنسانية التاريخية:

وتبدأ في الصفحة 145.

"ها هي الحافلة تقترب أخيرا من غرناطة، وها هي تدخل في الشوارع المزدحمة للمدينة بحثا عن محطة الحافلات التي ما إن دخلت بهوها الفسيح حتى ابتعدت خريطة للمدينة. خرجت من المحطة بعد أن استلمت حقبي ورأيت الجبل المعمم بقصر الحمراء كبوصلة حقيقة لا يحتاج رائيها إلى لغة إسبانية ولا إلى خريطة قادتي الخطى إلى أقرب ساحة من سفح الجبل: ساحة ترينيداد حيث وجدت في أحد أزقتها بنسيون

الماركيذ الذي تديره عائلة غرناطية ودودة هو أقرب إلى المنزل من إلى النزل ما إن طرقت الباب حتى وجدت الشاي والبسكويت أمامي على صينية في المجلس أخذ الابن حقيبتي إلى الطابق الثاني وأرشدتني الأم بعد أن شربت الشاي إلى غرفتي النظيفة ذات الستائر الشفافة التي يمكن للمرء أن يرى منها خيال قصر الحمراء..أرشدتني إلى الجرس القريب من الطاولة فيما لو احتجت شيئا....

ذات صباح وأنا أتجول في أنحاء المدينة قاطعا جسر النهر مارا ببعض الأطلال القديمة وجدت تمثالا للفيلسوف ابن رشد جالسا أمام حديقة القصر وقورا في رخامه وعمامته ولم أكد أخطو بضع خطوات حتى وجدت نصبا رخاميا آخر تعلوه كفان متعانقتان كفان تختزلان تلك اللوعة العارمة التي شغلت قرطبة حيناً من الدهرين ولادة وابن زيدون الجميل في النصب إنه لا يظهر وجهيهما كما جرت العادة وإنما كفان لا ينتهي عناقهما في الرخام والأيام مكتفيا بأبيات لولادة وأبيات لابن زيدون منقوشة باللغتين العربية والإسبانية في أسفل النصب¹⁰.

فرغم نوعية الرحلة التي مضى الكاتب في صياغتها في كتابه إلا إنها في تصوري رحلة واحدة فعل وحكاية وسيرة وترحال. حيث جاب الحارثي تلك البلدان بحثا عن الذات التي فقدتها في لحظة من الزمن، هذه الذات التي جعلت منه إنسانا مغتربا رغم أنه يعيش بين الناس وعلى الأرض ذاتها؛ لكنه وبين لحظات الفراغ التكويني وإن قلنا لحظات السكون الإبداعي لم يقو على الانتظار فغدت نفسه تفهو نحو التحرر والترحال وهي لا تزال في عناقها النفسي والمجتمعي؛ ولذا مضت تلك الذات المحركة لفعل الدائرة الأخرى والرحلة المرحلية الثانية وهي الخروج من منحنى الوطن والتشعب عبر مسارات مختلفة واللجوء أحيانا إلى الآخر ونسق حياته وتكوينه الذي وجد فيه راحته ونفسه. -كما وجده بعض من الكتّاب العمانيين- وهو لا شك توجه حمل مضنات فكرية واجتماعية وثقافية أوصلت الحارثي وتلك المجموعة إلى روح المغامرة. ليست المغامرة والسفر المادي بقدر ما حملته له من أسفار نفسية وفكرية وثقافية كان لها الأثر الكبير على نفسياتهم ونفوسهم وعلى المستوى الفكري والإنتاج الأدبي. ولعل في تلك الرحلة التي قام بها محمد الحارثي ما يؤكد ما أشرت إليه وما أعلنت حضوره فيما وقفت عليه من كتاب عين جناح وهي رحلة لا تقف عند حدود المطالعة والقراءة ولكنها دلالة لها وجهتها ومساءلتها ووضعها وقد رسمت جملة من المسارات وأنارت مستوى من الفعالية والاختلاف والتفرد في مستوى الكتابة والتي ما هي إلا رحلة إلى المجهول والنزول إلى هضاب المحاور والديمومة.

فكانت رحلة الكاتب وكتابه صور من التفاعل والفضاء الذي شكل لوحة من الفنية والجمالية في لغة المكان وجدية الإنسان.

إن الخروج من الواقع المهمش إلى عالم متسع يجمع بين لغة الكلام ولغة الفكر والتأمل والحياة. ذلك أن الطريق أمام الكاتب أو الفنان دائما ما يحفه الكدر والتنغيص والملل فتغدو روحه طواقنة نحو الأفق الكبير رحالة بحضورها ومسافرة عبر أصقاع بعيدة ومناطق شاسعة فيه النسمة العليلة والمطر الجذاب.

إن ما رسمه الكاتب في عين وجناح صورة شخصية تحاور مختلف الصور والأمكنة والشخصيات؛ فليست رحلة استكشافية فقط ولكن مرحلة من التجسيد الفعلي لبناء المكان والإنسان بكل ما يحيط به من

مكنونات سواء أكانت موجودة أو غير موجودة يبنها الحراك وتدفعها يد المكينات والوسائل والأدوات الممكنة والتي تبين العقول وتحرك النفوس وتقوم بالتنافس.

هوامش وإحالات المقال

- 1 دليل النقاد الأدبي. المركز العربي للطبعة الرابعة، 2005، ص 261.
- 2 محمد القاضي، تحليل النص السردي، دار الجنوب، تونس، 1997، ص 52.
- 3 بحث من الشبكة العنكبوتية.
- 4 محمد حسن علوان، دار الساق، بيروت، الطبعة الأولى، 2014، ص 11.
- 5 عبدالله إبراهيم، المحاورات السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، الطبعة الأولى 2012، ص 71.
- 6 نجم عبدالله كاظم، نحن والآخر، المؤسسة العربية الأردن. الطبعة الأولى. 2013، ص 238.
- 7 محمد الحارثي، عين وجناح، الجمل للنشر، ط 1، 2008، ص 5.
- 8 المرجع السابق، ص 30-31.
- 9 موضوع على الشبكة العنكبوتية.
- 10 عين وجناح، ص 145-154.

قائمة المراجع

1. دليل النقاد الأدبي. المركز العربي للطبعة الرابعة، 2005..
2. محمد القاضي، تحليل النص السردي، دار الجنوب، تونس، 1997..
3. بحث من الشبكة العنكبوتية.
4. محمد حسن علوان، دار الساق، بيروت، الطبعة الأولى، 2014..
5. عبدالله إبراهيم، المحاورات السردية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، الطبعة الأولى 2012.
6. نجم عبدالله كاظم، نحن والآخر، المؤسسة العربية الأردن. الطبعة الأولى. 2013..
7. محمد الحارثي، عين وجناح، الجمل للنشر، ط 1، 2008، ص 5.
8. الشبكة العنكبوتية.